

دراسة العصبية المذهبية والطائفية في شعر بشارة الخوري

الأستاذ المشارك الدكتور أمير مقدم متقي (الكاتب المسؤول)

جامعة فردوسي مشهد - كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها - إيران

a.moghaddam1351@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور آشورقليج باسة

جامعة زابل - إيران

صفورا نظرى

ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشهيد مدني بأذربيجان

مسعود باوان بوري

طالب الدكتوراة في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشهيد مدني

بأذربيجان - إيران

المخلص

كانت العصبية الدينية والطائفية سما مهلكا أسقمت لبنان سقما شديدا في فترة من الزمن وقادتها إلي حد الانهيار، كون وصفها قضية صارت بلبلة وقلق رئيسا لأكثر الشعراء والكتاب في ذلك الزمن وأنهم استطاعوا بأن يساعدوا علي خلق الوحدة والمودة عبر أشعارهم وكتاباتهم، ومن جملة هؤلاء الشعراء فيمكننا الإشارة إلي بشارة الخوري بصفة شاعر مسيحي منذ شبابه حتي زمن شيخوخته والذي لا يزال كان قد عاهد علي نفسه بأن يكون ملتزما بفكرة وطنية عارية من أي عصبية وطائفية ما. قد تناول هذا المقال الجاري تبين الأفكار والآراء لبشارة الخوري علي أساس المنهج الوصفي - التحليلي والذي يخص مواضيع مثل مذمة العصبية المذهبية، القومية، التفرقة، الإشادة بالوحدة والتضامن، المودة والمحبة ومن ثم يقوم بنقدها ودراستها من الأبعاد والزوايا المختلفة. وقد أظهرت الدراسات التي قد تمت بهذا الصدد بأن بشارة الخوري كان يحترم لجميع الأديان السماوية بشكل عام وهو كان يطلب التسامح الديني. هو يحاول في أعماله أن يتدارس تنوير جمهور الناس بالنسبة للبلايا والمصائب التي تخلف العصبية الدينية معها حتي يقدم بهذه الطريقة علي خلق مودة ومحبة بين اللبنانيين مهما كانت

عقائدهم وأديانهم، كما أنه كان ينتقد من الذين كانوا يشيعون الخلافات العقائدية بين الناس بصراحة ما وكان يقول لهم بأنكم تقومون بالقضاء علي روح التضامن والتكاتف والمودة بين الناس عبر تفكراتكم وأفكاركم الخاطئة موزعين بذور النفاق والعداوة فيما بينهم.

الكلمات الدلالية: بشارة الخوري، المذمة، العصبية، الطائفية، التمجيد، الوحدة.

١. المقدمة

العصبية تعني عدم التغيير، الجمود وعدم التحمل للثقافة والقيم الأخرى التي تتجلي ظاهرة في ساحة البصيرة والعلوم (التحجر) وكذلك في دائرة النزعة والتصرف (الجمود) وهي تشمل العقل والقلب والأدوات الباحثة عن المعرفة والمصادر المولدة للمعرفة أيضا (مطهري، بي تا، ج ١٩: ١١٠).

كان بلاد الشام تركيا عجيبا عن تعدد الأديان وحينما اطلعت الحروب الصليبية مسيحي لبنان علي الخطط والدسائس والمؤامرات للغربيين فبدأت تتجلي أفكارهم الانفصالية بين فترة وأخرى في البلدان العربية، وأن وجود هذه العوامل قد مهدت الطريق لدولة فرنسا لأجل التدخل في هذه المنطقة وبالتالي تم البدء للهجمات الثقافية للغرب علي لبنان. فأعلنت فرنسا دعمها وحمايتها من المسيحيين بدءا من سنة ١٨٤٩ للميلاد) وقامت بحماية وقائع لاحقة أضرت فتيل التثبيت لجذور الطائفية في هذا البلد العربي. ومع مضي من الزمن فقامت أية دولة أوروبية ما بدعم طائفة من طوائف مسيحية لبنانية وهذه الحماية من جهة الأوروبيين كانت قد جعلت بعض الطوائف المسيحية في لبنان بأن تثير فكرة الاستقلالية والبناء لوطن مسيحي في لبنان وإثارة العصبية الدينية فيها بحيث كان يعتبر أي إنسان ما شخصا آخر عديم الدين والمذهب وكان يلزم علي نفسه القيام بقتله واغتصابه في الأموال والأرواح والأعراض (المعوش، ١٩٤٨: ٥٤).

لا زال قد تعجن الأدب وفي مقدمته الشعر مع حياة الناس وهو قد تطرق إلي التعبير عن آمالهم وآلامهم ويعتبر بشارة الخوري من أحد الشعراء اللبنانيين قد أبعدهم عن التفرقة والعصبية المذهبية والدينية والطائفية رغم نصرانيته بشكل حاد وقد تناول في شعره مذمة أولئك الذين يتبعون هذه الفكرة. يسعى المقال الجاري أن يتناول دراسة

بشارة الخوري عبر المنهج الوصفي - التحليلي وأن يستنبط مواضع تبين أفكارها في نفي وطرده العصبية الدينية والطائفية ومن ثم أن يقوم بتبيينها.

١-١. أسبقية البحث

قد ترك بشارة الخوري لما بعده أعمالاً مثل «ديوان الهوي والشباب» و«شعر الأخطل الصغير» بحيث تم نشر الديوان الأول في سنة (١٩٥٣ للميلاد) والديوان الثاني في سنة (١٩٦١ للميلاد) بإشراف الشاعرين الاثنين هما «سعيد عقل» و«أمين نخلة». كما أن الديوان «الوتر الجريح» و«كبرا واصفيا» يعتبران من جملة أعماله التنظيمية. ومن جملة أعماله النثرية فيمكن الإشارة إلي «من بقايا الذاكرة» و«احداث واعلام» والتي تشمل ذكريات الشاعر بعينه وكذلك كتاب «بين الادب والسياسة» الذي يعتبر نبذة مقالات ما من بين المقالات المنتشرة لجريدة «برق» (العيني، ١٤١١:١٨٠).

إن أشعار الشاعر بالنظر إلي أنه يعد أمير الشعراء العرب، قد تمت دراستها وفيما يتعلق بأشعارها فقد حررت كتب وأطروحات بهذا الصدد، منها الكتاب "الأخطل الصغير سيرته وأدبه" التي قد كتبه «سهام ابوجده» في خمس مجلدات وأن أطروحة الدراسة والشرح للدلالات السياسية - الاجتماعية في شعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) التي قد كتبها سيد محمود هاشمي فكلها تعد من جملة أعمال قد تم تأليفها عنه وحوله. ولكنه حسب ما اطلع عليه المؤلفون وقد بحثوا فيه فإنه لم تتم كتابة أي مقال يتناول دراسة العصبية المذهبية والطائفية في أشعار بشارة الخوري ولذلك فإن هذا البحث بإمكانه أن يعد بحثاً جديداً في حد ذاته.

يهدف البحث الحاضر إلي دراسة العصبية المذهبية والطائفية في أشعار بشارة الخوري والذي قد تمت كتابتها بهدف الإجابة علي الأسئلة التي تأتي في التالي:
هل أثرت أشعار بشارة الخوري علي تنوير أفكار الناس ومعتقداتهم؟
إلي أي مدي قد استطاعت أشعار بشارة الخوري أن تشيع فكرة المودة للأديان بين جمهور الناس؟.

٢-١. نظرة قصيرة إلي حياة بشارة الخوري

هو من مواليد مدينة بيروت وقد أخذت له بعين الاعتبار ثلاثة تواريخ (١٨٨٠م)، (١٨٨٥م)، (١٨٩٠م) بصفة سنة ولادته. يكتب «أبوشبكه» حول بشارة الخوري في سنة

(٢٠٠٠ للميلاد): هو يكون علي أعتاب ٤٥ سنة من عمره ومازالت هوايته إنشاد الأشعار وهو ينشد بالنسبة لأية واقعة مهمة تحدث» (أبوشبكه، بي تا: ٢٤). في بداية الأمر أرسله أبوه إلي المدرسة وتعرف في هناك علي «وديع عقل» و«جبران» (لبكي، ١٩٥٤: ١٦). كانت حرفة الصحافة أملا مازال كان يفكر فيها، لذلك فقام بتشغيل جريدة «برق» وهو يقول بشأن صحيفته: "أسست جريدة «برق» كي أتناول جميع المواضيع فيها منها مواضيع سياسية واجتماعية وأن أقوم بالبحث عنها ونقدها حتي أحبي الروح العربية في جمهور الناس لإسهامهم في النهضة الوطنية التي قد بدأت تطلع» (قميحة، ١٩٨٢: ١٤٨). أخبر في الصيف لسن (١٩١٦م) بأن الأعراب ينوون تأسيس الأبراطورية العربية وهذا الأمر قد تسبب بأن تستيقظ مشاعر وطنيته في ذاته. ولكنه لما كان يخاف بأن يعبر عن أفكاره بجرية كاملة فاختار لنفسه لقب الأخطل الصغير (مطر، ١٩٩١: ٢٣). قد أقيمت احتفالات عديدة احتراماً وتكريماً له وأن شعراء المهجر في احتفال قد أقاموه له في سنة (١٩٦١ للميلاد) فلقبوه بلقب أمير الشعراء ولذلك فإنه صار أمير الشعراء للأدب العربي بعد «أحمد شوقي» ومن جملة ألقابه فهي: شاعر «الهوي والشباب» شاعر «الموافق والمناسبات» شاعر «الوطن» شاعر «الجراح والبواح» شاعر «المرأة والشفافة والقبيلات» و.... (أبوجده، ١٩٩٨: ٢٦). توفي بشارة الخوري في يوم الأربعاء الموافق ل (٣١) تموز (١٩٦٨ للميلاد) وتم دفنه في يوم الجمعة الموافق ل (٢) لأغسطس (١٩٦٨ للميلاد) (الجبوري، ١٩٩١: ٤٥).

ينبغي أن نعتبر لبنان بلد الأحزاب التي يعيش فيها طوائف مختلفة تكون لكل واحدة منها دين ومذهب خاص وأنه يكون لأي بلد ما من بين البلدان العربية والغربية فيها أحزاب وطوائف تزودها بالمال والسلاح مما يبعث علي أن تتصارع هذه الأحزاب والطوائف معا لكي تطبق خطط متعلقة بحكومتها المتبوعة (پيشوايي، بي تا: ٥٢) وهذا الأمر بدوره قد بعث علي حدوث حروب طائفية مذهبية في لبنان والتي نبحت عنها في أشعار بشارة الخوري في مواصلة حديثنا بهذا الصدد.

٢- دراسة العصبية المذهبية والطائفية في أشعار بشارة الخوري

١-٢ - مذمة العصبية

كان الشاعر معتقدا بأنه تكون العصبية الدينية والطائفية آفة أسوأ من الفقر والفاقة في لبنان. ولأجل عيشه في بلد لبنان فكانت له نزعات واتجاهات نحو الاعتدال و مازال

كان ينشد بين اللبنانيين أغنية التفاهم والمودة. وبما أنه كان يشارك في المحافل السياسية فكان يسعى جاهداً أن يخلق وحدة بين المذاهب والأديان وكان يدعوهم إلي الوفاق والوئام. بناء علي هذه العقيدة بأن العصبية هو سم مهلك يقضي علي كيان الوطن وذاته ويسوقه نحو الفناء والهلاك.

«كان يلح بأن يقضي الله علي هؤلاء الناس وأن يجعل بدلهم أمة واحدة يكون لها دين وفلسفة واحدة لكي توصل الشرق إلي آماله وأمنيته وأن تعيد له مجده وعظمته وجاهه» (أبوجده، ١٩٩٨، ج:١، ٨٧).

وإثر واقعة وقعت بين المسلمين والمسيحيين في سنة (١٩١١ للميلاد) فهو يعبر عن غضبه وسخطه بكل صراحة في شعر «ما في ما حرم سفك الدما» وهو يقول بهذا الشأن: نحن كلنا من نفس وأخوة واحدة توجب علي أنفسنا أن نجاهد بجانب بعضنا البعض لبناء الوطن علي أساس التكريم والاحترام ورغم الخلافات القائمة بين القوميات والأديان والمذاهب فأن نراعي حقوق بعضنا بعضا وفقا للعمل وأن نكرمها وفقا للتعليمات الإلهية لديتنا وهو يعتبر سفك الدماء أمرا مكروها لا يقبلها أي دين ما أصلا:

ما حرم سفك الدما ما حرام قتل هذا الإنسان يا إنسان
كلنا إخوة وما الدين إلا واحد للجميع من حيث كانوا
إتقوا الله وأحقتوا دم هذا الخلق رفقاً فكلنا إخوان

(الخوري، ١٩٩٨، ج:٥، ٣٣)

كانت علل انحطاط لبنان وسقوطها الصراع الدائم بين المسلمين والمسيحيين من جهة وأنهم فيما بينهم لا يزالون كانوا يتراشقون بعضهم بعضا بتهمة الإلحاد في الدين ومن جهة أخرى الحماية والمساعدات الدائمة للأجانب من الحروب الطائفية في لبنان حفظا لمصالحهم فكانت من جملة عوامل تثير فتيل هذه الحوادث الطائفية ومن ثم تنشر بذور العدواة بينهم لأنه وبعد مضي من الزمن فقامت الحكومات الأوروبية بالحماية من المسيحيين وهذه السياسة كانت تثير وقائع وحوادث طائفية كان يعتبر أي أنسان ما الآخرين بعدم التدين.

وكان انعكاس هذه الحوادث في شمال لبنان بشكل وافر والذي كان يمتلك تنوعات مذهبية وافرة. الشاعر في شعر «أجل سئنا الهوانا» فيصور هذا الموضوع بصورة رائعة وقد شبه نفسه في هموم مصائب وبلايا وطنه بمحامة مطوقة تتحمل حلقة من غموم مصائب الوطن علي عنقها دوما وهو يذم أولئك الذين يجرضون الناس علي إثارة النعرات الدينية والطائفية قائلا: إنكم لا تخلقون للناس شيئا سوي الهموم والتضايق والانزعاج:

نحن صنوان يا حمائم في البؤ س كلانا مطوقان كلانا
كيف حال شمال من أرض لبنان أمازال يقذف النيرانا؟
ويريق الفتي دماء أخيه ويجهه كان قلبه صوانا
إن من يزرع الدماء بأرض أيها الناس يحصد الأحرانا

(الخوري، ١٤٢٩: ٢٢)

يعتقد الشاعر في هنا بأن المودة بين أبناء الوطن، أمر جميل وطريقة لخلق الوفاق والوئام فيما بينهم وإن تمت إدارة هذه المبادلة للمحبة الدينية بطريقة صحيحة فتكون للبلاد مصالح كثيرة. يمكن القول بأن المراسم والأماكن المذهبية يجب عليها أن تتحول إلي وسيلة لخلق المودة بين الأديان وعلّة لإنشاء الهدوء ومبادلة الأفكار والعقائد حتي تعقبها الوحدة، السلم والهدوء.

هو يتناول هذا الموضوع في قصيدة «إلي أخي في عيد عاطفة تتجدد» حتى يدعو الناس إلي المشاركة في احتفال المسلمين وأن يعتبروه عيداً وطنياً.

هو يقول للناس: إن هذه الأنفس متعطشة إلي الفرح والمحبة، وأن المصائب والأفراح للوطن يكون أسهما لجمعنا؛ فهلّموا أن نقسم أفراح أبناء جلدتنا كرامة وعبر الإغضاء عن جميع الأخطاء والزلات وأن نحول العداوات إلي السلم والبكاءات إلي الضحكات، لأنه قد ضاق قلب الوطن من هذه الأفكار والتفكرات الحاقدة وقتل الإخوان:

يا له من موقف / عيد غداً عيد أخي. فماذا أعددت للعيد؟ / آية زهرة جميلة / آية نعمة طيبة / ظمئت هذه النفوس إلي الحب / ظمئت إلي مجالس الأوس / الهواء والماء لي

وله/ الشقاء والهناء لي وله/ والتراب الذي نستحيل إليه غداً ستضربه العاصفة فيمتزج فيكون منه بنونا/ العاطفة في الصدر الكريم، نستطيع أن نُحوّل الشقاق وثأماً، والخصام سلاماً (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٧٢).

٢-٢. الإشادة بالموودة والمحبة

ما يزال يدعو بشارة الخوري علي ضرورة الوحدة بين المسلمين والمسيحيين وتحويل الخلافات المذهبية إلى المحبة والوثام وكان السبب لهذا الإلحاح من قبله وجود ماضي لبنان. أيام من الدهر التي كان يعيش الناس فيها في الوحدة والموودة معا ولم يكن هناك أية خلافات ما بينهم وأن جميع قلوب هذه الأرض كانت تبكي إثر سرد قصة واحدة وكانوا يضحكون إثر فرحة واحدة وأن دموع المصائب والبلايا كانت تذرف علي خد واحد. هو كان يعرف جيدا بأنه كانت نفس هذه السياسية تدعو اللبنانيين إلي الحرب وعدم الوحدة والتفرقة بينما أن صواحب جاهلة لهذه الأفكار كانوا لا يعرفون بأن هذا الأمر أية مصيبة عظمي تصحب مع نفسها، كان يقول الشاعر لأصحاب التفرقة:

أيها السائل عن أديانتنا ألعيسي أنت أم للمصطفي
وطني ديني فمن يسألني قلت: إنني عربي وكفي

(برهومي، ١٩٩٣: ٩٠)

كان الشاعر مخلصا في عربيته وكان يعتقد بأنه يجب علي هذه المسألة بأن توحدنا وكان يدعو أناسه إلي الوحدة الوطنية وعدم الانتباه إلي الخلافات الدينية والمذهبية والحرب مع مدعوها دوما؛ هو كان يذهب إلي أن الدين ينبغي عليه أن يكون عاملا للموودة والألفة بين المواطنين لا أن يكون عروة يتمسك بها للحرب وسفك الدماء وكان يقول ردا علي مثيري التفرقة:

قالوا طوائفه فقلت فدي له قالوا مسيحي فقلت ومسلم
سيان إن قباد البلاد مقلنس للمجد أوقاد البلاد معم
وطن الجمعية علي خدود رياضه تحتال الفاطمة وتلعب المريم

(الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ٢٨٣)

كان يؤمن بشارة الخوري بأن الكاهن والشيخ لو أنكرا بعضهما البعض - نفس العمل الذي قمنا به حتى اليوم- فهذا الأمر يبعث علي خلق الحرب الدينية وسوف تبقي هذه المصائب. هو في قصيدة «وسائم الرئاسة الجمهورية» يدعو مواطنيه إلي التضامن رغم خلافاتهم الدينية بحيث يتعانق صليب الكنيسة هلال المسجد وتتعانق فاطمة مريم وأن يكون المسلم والمسيحي بجانب بعضهما مع البعض وأن يتمتع جميع أبناء الوطن بإمكانيات الوطن بجانب بعضهم مع البعض. يعتبر بشارة الخوري راية الوطن مظهراً للوحدة والاتحاد والوئام ويخاطبها هكذا:

لا أباي اللون الذي تلبسين / ولا الخيط الذي منه تنسجين / ولا المكان الذي عليه ترفعين / علي أن لا يكون كنيسا ولا كنيسة / علي أن لا يكون مسجدا ولا مقاما / علي أن لا تكوني إلا لنا مجتمعين متحدين متضامين (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٦٩)

يعرف الأخطل الصغير جيدا بأن راية أي بلد ما قد تمتعت بأي قداسة ومعني عالية، لذلك يخاطب في قصيدة «من لهذه راية» راية لبنان حتي يبين أفكاره بصفة إنسان محب لبلده. كان معتقدا بأن راية لبنان تكون قيمة في نظرة اللبنانيين وهي تعتبر مظهرا للبلاد إلي زمن يشمل جميع اللبنانيين سواء كانوا من المسلمين أو من المسيحيين وأن يعيش كلهم في السلم والوحدة تحت ظل هذه الراية وهو يصور عزمه وإرادته إلي الإسلام في قصيدة «إلي أخي في عيده عاطفة تتجدد» هكذا:

ليت لي أن أصوغ الأزهار ثغور / وأعكس عليها الكواكب نورا / وأرسم العواطف في القلوب سطورا / وقليل علي ذلك في عيده / في عيد أخي / أخشع للجامع من أجله / وأحب كل «أحمد من أجله، لأن أحمد أسمه (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٧٢)

إن بشارة الخوري عبر وقوفه علي دين الإسلام والأهمية لعيد المبعث النبوي الشريف لدي المسلمين فلأجل خلق المحبة الأكثر بين أبناء جلدته فجعل عيد البعثة النبوية الشريفة عذرا حتي يبين فرحته عبر إنشاد هذا الشعر لكي يكون إنسان ينفخ روح الوحدة والوفاق والوئام بين المواطنين بهذه الطريقة. فالشاعر يمدح النبي الأكرم في ذكرى ميلاده (ﷺ) هكذا:

غداً ترتجف أصنام الكعبة فتهوي متحطمة علي الحضيض / غداً تطمئن البنات في حضون الأمهات، مسبحات للرسول شاكرات / غداً لا أزالام ولا مدام ولا قمار ولا

خمار/ غداً تذكّر نهضة العرب كأمة، ونهضتها كدولة، ونهضتها كمشعل للحضارة (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٨٣)

كم يكون جميلاً عمل الشاعر في هنا عندما يمدح النبي الأكرم (ﷺ) في شعر «إن غداً تذكّر مولد الرسول»: إن النبي الأكرم (ﷺ) هو الذي حطم الأصنام التي كان علامة للجهد والجهالة ووهب إلي المرأة الحياة والتكريم المجدد وقضى علي الخمر والمقامرة اللذين كانا يضيعان الحياة وقام بتوحيد شتيت الأمم العربية جاعلاً إياهم صواحب المشاعر للحضارة.

يعتزم بشارة الخوري كون وصفه أحد الزعماء الكبار للمسيحيين في لبنان بأن يعبر عن فرحتهم عبر نشر أفكاره وأن يخلق المودة بين الناس ولذلك كان يقول: «نحن نبارك هذا العيد الزاهر إلي إخواننا المسلمين أملاً بأن جميع المواطنين يحتفلون بعيد واحد وهو العيد الجديد للوطن وعلي أمل بأن تأخذ المباحث الدينية مصلحة البلد بعين الاعتبار وأن تصير مذابة فيها» (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٦٧).

٣-٢. حث الشباب علي التنهي عن التفرقة

كان يقول بشارة الخوري إلي الشباب: يرضي الأعداء من التفرقة الموجودة في هذا البلد ولذلك فاتحدوا معا وجاهدوا لتحقيق الوحدة وتطلعات بلدكم لبنان. وعبر الاجتناب من الخلافات السياسية فأن نمارس توحيد الجهود للنصرة أمام مثيري التفرقة؛ لأن التعاليم والمعارف الدينية تعتبر إليوم عاملة للدوافع السياسية والسلطوية وأنها قد أصابت لبنان بالتفرقة. كان بشارة الخوري معتقداً بأنه ليس هناك حل لهذه الإشكاليات إلا وحدة المسلمين والمسيحيين معا وضرورة التفسير لهذين الدينين للناس بطريقة صحيحة وبالابتعاد عن الجمود والتحجر والعصبية. كان يخاطب الشباب قائلاً:

أنتم القوة التي نترجي	ذات يوم أن تنعش الآمالا
أنتم الكف والحسام فشلاًوا	كل عضو ترون فيه اختلالا
وانبذوا الحقد والتنافر والأغراض	والعنفوان والاختيالا
وأسحقوا مفرق البغاة ودوسوا	نصراء التعصب الأنذالا

تدعي كل عصابة منهم الجنة والفصل والهدى والكمالا

(الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ١٥)

كان الشاعر يذهب إلي أن تنمية وتطوير لبنان وتقدمها رهين علي الوحدة والتعاون بين المسلمين والمسيحيين فحسب حتي بإمكانها أن تتخلص من الزوبعة التي قد أخطت بها. هو يخاطب الشباب في قصيدة «صفحة مطوية» قائلا هكذا: إنكم وجود الوطن وأمله، ضعوا كافة الآمال الطائشة، الأحقاد والإكراه جانبا واضربوا علي رؤوس العاصين والمتعصبين الذين قد لعبوا مع مستقبل الوطن بالأفكار الواهية والعبثة وإنما يكون هؤلاء مجموعة جاهلة ومتحجرة يتهمون الآخرين ولكن يعتبرون أنفسهم علي الحق.

هو يقول في قصيدة «شرف الفتح» نصحا للشباب: لو أردنا أن نكون أمة متقدمة ومستقلة كبقية الأمم، لكي نحقق حلما يرتاد في بال كبارنا فيما يخص تقدم البلاد وأن نصنع عالما جديدا، فعلينا أن نتحد ونتقوي معا. عندما صرنا أقوياء فنكون الأعراء، علينا بأن نضع جانبا مقولة مبنية تقول دوما: أنا مسلم وأنت مسيحي وأن نصدق بأن نشأتنا قد تشكلت من تراب واحد وأن كلا الدينين ليسا سوي الداعين إلي الله تعالي وأن نعلم بأن منشأ هذه الأفكار المولدة للفرقة التي لا تزرع في ذوات مواطنينا سوي الحقد والبغضة هو الجهل وأن نعلم بأن اللغة العربية هي لغة الأمم المختلفة وأن نعتبر عربيتنا عاملة لوحدتنا:

ويك قل لي هل المآذن والأ
جـراس إلا لله عـز وجل؟
بعض هذا التراب آباؤنا الغر
رقذفنا بهم علي الأرض نسلا
أي نبت لأحمد، أي نبت
ليسوع، أئخنت عقلك جهلا
فخر أم اللغات أن تحضن الرا
يات مهما اختلفن لونا وشكلا

(الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ٤٩٧)

يتناول الشاعر في قصيدة «علي عيد أخي» إعادة تصويره للأحداث والمصائب التي قد وردت علي مواطنيه بواسطة العصبية المذهبية وأنه يتذكر بنوع من الكناية الحساسة

وهي أنه كيف يكون بأن الموت يقبرنا جميعا رغم اختلافنا في أي لون وعنصر ما وهو يصنع من عظامنا وهي رميم ترابا واحدا نخلق جميعنا منه ولكننا نكون في صراع ومعركة دائمة في هذه الحياة القصيرة:

كانت لنا وقفة علي الرمل منذ أيام / قال هذه هي الحفرة التي تضم إخواننا ممن قتل / أزل هذا التراب عنهم، / وأنظر ذلك امتزاج هذه العظام البوالي / وميز- إن أستطعت أن -تميز «أحمد» من «سعيد» / ويحنا، كيف وحدثنا المصائب ومزجتنا المنايا؟ / فعلام نفرقتنا الحياة علي قصرها وغرورها؟ (الخوري، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٧٢)

٤-٢. تمجيد والإشادة بالكبار

يدعو الشاعر الكبار إلي التنحي عن الخلافات بعضهم مع البعض إشاعة للسلم عبر تمجيدهم والإشادة بهم للاهتمام بخلق الوحدة بين الطوائف اللبنانية مما يبعث علي توحيد الوطن تجاه المخاطر وهو يعتقد بأن الكبار سوف يتمكنون عبر الاتكاء علي القيم الوطنية والإدارة السياسية القوية من أن يحولوا هذه الاضطرابات إلي الوحدة والوفاق والانسجام وأن يمضوا في تقدم لبنان واستقرارها .

هو يقول في رثاء «إلياس بطرس حويك الزعيم الكبير للمسيحيين» :

لله درمكفـنٍ بجلالـه لبس الضحى وتوسد «الميلادا»
جبريل عند رتاجه متواضع ويسوع حول سريره يتهادي
نظم الجموع علي اختلاف ميولها فتألقت في حبه أحادا

(الخوري، ١٤٢٩: ١٣٣)

يسعي بشارة الخوري في مرثية «من للبلاد» ل «إلياس بطرس حويك» كون وصفه سياسيا أدت محاولاته إلي استقلال لبنان جاهدا في خلق المودة بين الإسلام والمسيحية مع الإتيان بالأسماء المقدسة للمسلمين وهو يعبر عنه بأن شعبية «إلياس بطرس حويك» كانت عظيمة بين جمهور الناس بصورة كان يحبونه رغم خلافاتهم وحتى صار موته سببا للمودة فيما بينهم وأخيرا إنه للمم طوائف مختلفة بعضها بجانب البعض.

٥-٢. مذمة التفرقة

يعتبر الوفاق الاجتماعي من أهم المبادئ والأصول التي يحتاجه أي بلد ما لمواصلة حياته، وبما أن كون لبنان بلدا ذا تعدد المذاهب والطوائف فلا تزال هي قد واجهت

صراعات ومنازعات سياسية طول التاريخ، قضية قد ألحقتها أضراراً وافرة ومما لا شك فيه أن وجود حالة كهذه في المجتمع فيتسبب في تخلفه وهذه القضية بدورها تسدل ستائر الجهل علي عقول وأفكار الناس والتي تمنعهم عن الإدراك والفهم الصحيح وبالتالي تقضي علي مصالح البلاد. وأن شاعرنا بشارة الخوري الذي كان يري واضحاً بأن تفرقة ماذا صنعت بلبنان وقد أوغلتها في أي تقهقر وتخلف في الاقتصاد والثقافة... فكان يذم الناس بكل صراحة ما وهو كان يقول :

لبنان مالِك إن غمزتكَ تغضب أيجدُ غيركَ في الحياة وتلعب
إنيك في البلاء فلم أجد عزمًا يقلُّ ولا إباءً يغضب
أما الشعوب فقد تألف شملها فمتي يولّف شعبك المتشعب

(الخوري، ١٤٢٩: ٢٩٦)

إن الشاعر حينما كان يري بأن الناس في العالم يعيشون في جو وبيئة من الوحدة والمودة بينما أن جمهور الناس لوطنه تحيطهم العصبية والتفرقة فكان يشعر بالعذاب وعندما كان يقضي سم العصبية علي وحدتهم وينشر بينهم الفساد والتكبر ويشيع الصراع والجهل في أرجاء البلاد ففي شعر «غصة السراب» كان يتساءل مؤسفاً هكذا كيف يكون بأن السائرين قد كفوا عن العصبية الدينية، الطائفية والحقد والبغضاء بالنسبة لبعضهم بعضاً وهم يعكفون في المحاولة لبناء أوطانهم ولكنكم في أسوأ المشاكل ولا يوجد فيكم عزم وإرادة لإنهائها فيكم. هو كان يقول: «أنا مسيحي ولكني يكون لي بعض الأصدقاء من المسلمين الذين يكونون أعز وأكرم عندي بالنسبة للمسيحيين وأنه يوجد بين المسلمين من يكون لديهم أصدقاء من المسيحيين يكونون الأعز والأكرم عندهم بالنسبة للمسلمين» (أبوجه، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٣٩).

أي راية الوطن، أين أنت؟ / لله أنت طريحة كالحسام المحطم في ساحة الوغي..... /
لمن هذه الرايات الخوافق / للمسيحين راية / للأرثوذكس راية / للدروز راية / الكاثوليك راية / للموارنة راية / وأخيراً إهتديت إلي راية الوطنية / يا لها من قصبة ضعيفة، عليها خرقة بالية، / عزلوها كأنها الأجرب / أنكروها كأنها العار / إنَّ للطوائف رايات لها جنودها / وإن للوطن راية / فمن لهذه الراية (الخوري، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٦٩)

ما يعطي شعر الأخطل الصغير روعة ورونقا هو فنه في التصوير ولذلك فإنه يجعل في قصيدة «من لهذه الراية» راية الوطن عاملا للإبداع الأدبي ولأجل عكس التفرقة والطائفية التي طالما قد سيطرت ظلها علي لبنان أثناء سنوات مديدة وعبر تصوير التفرقة بين الأحزاب المختلفة في لبنان فمنها الأرثوذكس، الدروز، الكاثوليك، الموارنة، المسيحيين ومظلومية راية الوطن التي تعتبر رمزا للوحدة والاتحاد الوطني لبلد لبنان حقا وأن الجميع يجب عليهم أن يجمعوا تحتها فيؤنب مواطنيه بأنه إلي متي يلزم استمرار هذا التفرقة والخلافات.

٦-٢. مذمة الكبار

كان من جملة العلل المهمة في خلق التفرقة والخلافات في لبنان وجود الساسة المصلحين والجرائد من جهة ومن جهة أخرى فإن المستعمرين عبر السيطرة الاقتصادية والسياسية لها كانت تسعي في لبنان بأن يوظفوا بعض عملائهم الذين كانوا بحاجة إليها بصورة غير مباشرة، ساسة بدل أن يفكروا في تأمين السلم والهدوء في المجتمع، كانوا بصدد خلق التفرقة والصراع لتطبيق أهداف الاستعمار. كان يعتقد بشارة الخوري بأن الجرائد والصحف يجب عليها أن تكون قوة تضغط علي السياسيين بغية العمل لحفظ وحدة لبنان واستقرارها. ينبغي علي الجرائد أن توحد الطوائف المختلفة في لبنان حفاظا علي وحدة هذا البلد وأن تحول دون نشوء المذهبية والتعصبات الطائفية وبما أنه تكون لها آثار انعكاسية في وضع البلد أن تعمل في اتجاه وحدة الوطن وأن تمنع من وقوع لبنان في مستنقع الصراعات المذهبية والطائفية.

إن الشاعر كان يهجو المتعصبين الجهلاء وأي شخص ما كان يستخدم الدين وسيلة للارتزاق وإثارة الحقد والبغضاء وكان يقول للذين يغرسون العصبية عبر التمسك بمبدأ وأصل المساواة والأخوة :

أيها القوم حسبكم وكفاكم أن مكثنا في أسركم أجيالا
أيها القوم قد منحنا عقولا لا تبقي وهماً ولا إشكالا
ومنحنا حريّة وإخاء ومساواة من لدنه تعالي

(الخوري، ١٩٩٨، ج:٥، ١٧)

كان يقول الشاعر إلي زعماء الدين الجهلاء الذين يصبون في ذوات الناس روح العصبية المذهبية بأنكم قد قدمتم هؤلاء الناس إلي جهنم بضاللتكم ويرشون في أرواحهم سم العصبية خالقين بينهم الحسد والبغضاء وتزينون التفرقة لهم ومن ثم يظهرون لهم المودة بصورة قبيحة:

تعالها من امة أزعيمها جلادها وامينها جاسوسها
أبناء أحمد والمسيح ألا فانهضوا أتباح حرمتها وأنتم شوسها
موتوا كراماً أو فعيشوا أمةً تهوي علي يدها العلي وتبوسها

(برهومي، ١٩٩٣: ٨٩)

إنه كان يهجم و ينتقد من الزعماء الدينين والسياسيين الذين كانوا ينتهجون منهج خلق التفرقة بين الناس وكان يصرخ علي الشباب بأن آمنوا بهويتكم التي تكون هي الهوية الوطنية، وأن لا تصيروا ألعوبة بيد الزعماء المنافقين والمتحجرين الذين لا يخطر علي بالهم سوي القيام بغرس بذور الحقد والبغضاء وسفك الدماء قاتلا لهم باللوم عليهم بأنكم أسود وطنكم ، ألا تدافعون عن المجد والعظمة لبلدكم، أو أن تبدلوا مهجكم عزة في سبيل الوطن أو كونوا أمة واحدة و متحدة تسجد العظمة أمامها.

جاءني صديقي، وفي يده الجرائد / قال هذه جرائدكم فبئست من جرائد / زعمتم أنكم نور الأمة فكنتم ظلامها / رأيتم موضع الضعف في الأمة فضربتم عليه / أثرتم العاطفة القتاله بما أوقدم تحتها / كلكم يدعي الحق وكلكم مخطي / لو حسنت نياتكم لحسنت أعمالكم / النجاح لا يكون بدون تضحية فمن هو الذي ضحي بأنايته منكم؟ / تعلمون أن الشعب عبد عاطفته فمن الذي راعي تلك العاطفة؟ / لو احترم كل منكم عاطفة أخيه، لما كنتم حيث أنتم / لا تكونوا حطبا للموقد إن كنتم تعقلون (الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ٣٧٢)

ينتقد البشارة الخوري في قصيدة «على عيد أخي» من صواحب الجرائد الذين يملكون عبر كتاباتهم حق القدرة علي إدارة تفكر الملايين من الناس قاتلا إياهم: إنكم بدل أن تقوموا بإشاعة السلم والأخوة في البلاد وأن تألفوا بين قلوب مواطنيكم فعبر نشر الأفكار المولدة للتفرقة قد ألقيتم بذور النفاق والتفرقة وحاليا لقد صار جمهور لبنان

إلي أناس ينظر أي واحد منهم إلي أخيه في الدين بنظرة الكراهية وأن المسلمين والمسيحين ينظرون بعضهم إلي البعض بعين العدو اللدود.

إنما هذه العصبية ليست بين المسلمين والمسيحيين فحسب وبل إنها توجد بين أبناء دين واحد منها الكاثوليكية والبروتست أيضا.

يقول بشارة الخوري بهذا الصدد: «أنا وضعت جريدة برق لكي أدعو المسلمين والمسيحيين إلى الوحدة والأخوة وإزالة الحقد والكراهية وعبر الاستناد إلى آيات الذكر الحكيم وكتاب المسيح أن أغرس في قلوبهم بذر الألفة والمحبة» (أبوجده، ١٩٩٨، ج١: ١٨٩).

النتيجة

١- في الواقع إن العصر الذي كان يعيش فيه بشارة الخوري كان فترة ملتهبة ومضطربة في تاريخ لبنان. «بدأت الحروب الأهلية في لبنان التي كانت ناجمة عن سياسة الطائفية وكانت قد غرست بذورها فرنسا وهي لم تقتصر على الحروب الأهلية فقط بل إنها كانت تشمل حروب المواطنين بعضها بعضا وكذلك حروب الناس مع الحكومة في بلد لبنان والتي كاني دفع ثمنها الباهض جمهور اللبنانيين» (هيكل، ١٤١٦: ٢٤) وأن بشارة الخوري الذي كان شاعرا وطنيا وكان همه وغمه جمهور الناس فيمارس بصفة شخص نشط في ساحة الثقافة والسياسة في أشعاره تنوير أفكار الناس ومعتقداتهم التي يسعي أصحاب المصالح من وراءها خلق التفرقة بينهم.

٢: يتناول الشاعر في أشعاره انعكاس هذا الأمر بأنه كيف أن أناسه قد أحاطت بهم مخالب الجهل والتحجر وفي هذا الأثناء فيوجد أناس مصلحيون يستغلون من هذه السداجة والتخلف الثقافي للناس والذي يكون من ثمرة الاستعمار تحت عنوان اسم الدين، من جهة إن هؤلاء قد ألهبوا فتيل العصبية المذهبية بين الناس وقد أوقعوهم في الصراعات والاشتباكات معا بحيث أن الفرد المسيحي يعتبر الفرد المسلم شخصا كافرا وكذلك أن الفرد المسلم يعتبر المسيحي عديم الدين وأن هؤلاء قد اجتازوا هذا الأمر حيث يتهم أي واحد من هذين الدينين الكبيرين الآخر إلى عدم التدين والذين قد تقسمت من بينهما مجموعات وفرق دينية ما وعلى سبيل المثال لا يقبل

الكاثوليكيون وجود البروتست وأن السني يعتبر الشيعة رافضيا ومن ثم يقتل بعضهم بعضا بسهولة ما.

٣: يدعو الشاعر الشباب إلي الوعي والبصيرة ويحذرهم من الوقوع في براثن العصبية الدينية والقومية وما يزال يذكرهم إلى متي أن نكون قابعين في الجهل والتحجر فهلّموا بأن نقوم بتوحيد الوطن عبر الأخوة والوفاق والوثام وتكريم الدين والفكر لبعضنا البعض، حتى نخطو عبر مساعي وافرة خطوات جبارة في التقدم والسلم في الوطن حتي نمتلك شعبا حرا ومتقدما كبقية دول العالم والذي يعيش فيه أبناء وطننا في السلم والهدوء.

٤: يخاطب بشارة الخوري الساسة وأصحاب الجرائد اللبنانيين مؤنبا عليهم بأن إليوم الذي قد اشتبك جمهور الناس متصارعين معا وقد صار البلد إلى ساحة الحرب بينهم فهذا الأمر يكون ناجما عن ثمرات عدم التدبير والسياسة الخاطئة لكم والتي قد غرستم بين الناس بذور العداوة والنفاق بدل أن تشيعوا روح المودة فيما بينهم.

Abstract

Religious and tribe prejudices were a fatal poison that make Lebanon sick severely at interval of time, and drew it up to interruption. These events became the main apprehension of the most poets and writers at that time and they could aid to create unity and friendship by their writings and poems. Among them, Bashar Al Khori's could be mentioned. The poet who made himself attendant to national reflection naked from any prejudice and tribe bias from begining of his youngness to his oldness, although he was Christian. Present article have been making Bashar Al Khori's thoughts and opinions clear, about subjects such as blaming religious-tribe prejudices, praising unity, unaimity, freindship and kindness, based on analytic descriptive methode, and study and criticize that from different aspects.

The result of studying shows that the poet respect all religious, and is willing to act negligently in religion. He tried to illuminate people to disasters that made by religious prejudices to create friendship and kindness between Lebanon's from every religions and tribes by this way. He also criticized people who issued diversity of opinions for political portion, and said they had destroyed the soul of unaimity and friendship

among people by these false thoughts and planted the seed of enmity and hypocrisy.

Key words : Bashar Al Khori , Blame prejudice , tribe bias , Adoration of the Union

قائمة المصادر والمراجع

الف) الكتب

العربية

- أبوجده، سهام، (١٩٩٨م)، الأخطل الصغير سيرته وأدبه، بيروت: البابطين للأبداع الشعري.
- أبو شبكه، إلياس، (بي تا)، الرسوم، بيروت: مكتبة الجامعة الاميركية.
- برهومي، خليل، (١٩٩٣م)، أخطل الصغير بين الهوي والشباب، بيروت: دارالكتاب العلمي.
- جبوري، كامل سليمان، (١٩٩١م)، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتي سنة ٢٠٠٢، بيروت: دار الكتاب.
- الخوري، بشارة، (١٤٢٩ق)، أخطل الصغير أمير الشعراء، بيروت: دارالكتب.
- الخوري، بشارة، (١٩٩٨م)، الأخطل الصغير سيرته وأدبه، بيروت: البابطين للأبداع الشعري، جلد ٥.
- قميحة، مفيد، (١٩٨٢م)، الأخطل الصغير حياته وشعره، بيروت: دار الآفاق الجديد.
- العيني، نجيب، (١٤١١ق)، شعراء العرب المعاصرون، بيروت: دارالمناهل.
- مطر، سهيل، (١٩٩١م)، اخطل الصغير، لبنان: دارالمشرق.
- المعوش، سالم، (١٩٤٨م)، الأدب العربي الحديث، لبنان، بيروت: دارالنهضة.
- لبكي، صلاح، (١٩٥٤م)، الاشارات الأدبية في لبنان، بيروت: دارالشرق.
- هيكل، محمد حسين، (١٤١٦ق)، أزمة العرب ومستقبلهم، بيروت: دارالشرق.

الفارسية

- مطهري، مرتضي؛ (بي تا)، مجموعه آثار، قم: صدر.

دراسة العصبيات المذهبية والطائفية في شعر بشارة الخوري..... (٧١٨)

ب) المجلات

- پيشوايي، مهدي، (بي تا)، «لبنان سرزمين خون و حماسه»، مكتب اسلام، شماره سوم، سال بيست و پنجم، صص ٥٤-٥١.